بسم الله الرحمـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

قال رحمه الله تعالى :

[وعدَّل رسول الله ﷺ الصفوف ، ثم رجع إلى العريش هو وأبو بكر وحده ، وقام سعد بن معاذ وقوم من الأنصار على باب العريش يحمون رسول الله ﷺ وخرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، ثلاثتهم جميعاً يطلبون البِراز ، فخرج إليهم من المسلمين ثلاثة من الأنصار وهم : عوف ومعوذ ابنا عفراء ، وعبد الله بن رواحة ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ فقالوا : من الأنصار ، فقالوا : أكفاء كرام وإنما نريد بني عمنا ، فبرز لهم علي وعبيدة بن الحارث وحمزة ﷺ ، فقتل عليٌّ الوليد ، وقتل حمزةُ عتبة ، وقيل : شيبة ، واختلف عبيدة وقرنه بضربتين ، فأجهد كل منهما صاحبه ، فكرَّ حمزة وعلي فتمما عليه واحتملا عبيدة وقد قطع رجله ، فلم يزل طمثاً حتى مات بالصفراء رحمه الله تعالى ورضي عنه . وفي الصحيح أن علياً ﷺ كان يتأول قوله تعالى { هذان خصمان اختصموا في ربهم } [الحج:١٩] في برازهم يوم بدر، ولا شك أنَّ هذه الآية في سورة الحج وهي مكية ، ووقعة بدر بعد ذلك ، إلا أن برازهم من أولى ما دخل في معنى الآية] .

****

قال رحمه الله تعالى : ((**وعدّل رسول الله ﷺ الصفوف**)) ؛ أي صفوف المسلمين تهيئة للقتال وملاقاة الأعداء، فعيَّن لكلٍ موضعه ولكلٍ مكانه ، منهم من هو في المقدمة ، ومنهم من هو في الساقة .

((**ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى العريش هو وأبو بكر وحده**)) ؛ وعرفنا أن هذه خِصِّيصة لأبي بكر ﷺ كما قال بن كثير رحمه الله أن هذه خصوصية لأبي بكر ﷺ كما كانت له الخصوصية مع النبي ﷺ في غار حراء .

قال : ((**وقام سعد بن معاذ وقوم من الأنصار على باب العريش يحمون رسول الله ﷺ**)) ؛ وكانت العادة جرت قبل بدء القتال أن تكون هناك مبارزة ؛ يبرز أعيان من الطرفين المتقاتلين ويتبارزون في ساحة القتال وبعد ذلك تنشب المعركة ويحمى الوطيس ، فيقول :

((**وخرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة**)) ؛ من أعيان المشركين وكبراءهم ، وقد مر معنا قريباً أن عتبة ابن ربيعة وحكيم ابن حزام كانا في محاولة شديدة مع الكفار في أن يرجعوا عن القتال وحاولوا في ثنيهم عن ذلك، ولما لم يتم هذا الأمر برز عتبة ابن ربيعة في الثلاثة الذين برزوا وقُتل في هذه المبارزة . أما حكيم بن حزام كتب الله ﷻ له النجاة ولم يحصل له قتل في تلك الغزوة .

لاحِظ المنّة العظيمة ؛ هو وعتبة ابن ربيعة في محاولة مع المشركين ثم عزم معهم على القتال ودخلوا المعركة ، لكن عتبة ابن ربيعة برز وقُتل في أول من قُتل في هذه المعركة ، وحكيم بن حزام رضي الله عنه منّ الله ﷻ عليه فنجا في هذه المعركة التي قُتِل فيها أعيان الكفار وكبراءهم ومنَّ عليه بالإسلام في عام الفتح ، وكان رضي الله عنه -كما جاء في ترجمته في الإصابة لابن حجر – إذا اجتهد في اليمين في الحلف بالله ﷻ يقول في يمينه : "والّذي نجّاني يوم بدر " ، يحلف بهذه اليمين ذاكراً نعمة الله ﷻ عليه العظيمة بالنجاة والهداية للإسلام ، وعُمِّر رضي الله عنه ، قيل في ترجمته أنه عاش مئة وعشرين سنة ، شطرها في الجاهلية وشطرها في الإسلام .

قال : ((**وخرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ثلاثتهم جميعاً يطلبون البِراز**)) يعني المبارزة .

((**فخرج إليهم من المسلمين ثلاثة من الأنصار وهم : عوف ومعوذ ابنا عفراء ، وعبد الله بن رواحة ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قالوا : من الأنصار ، قالوا : أكفاء كرام وإنما نريد بني عمِّنا**)) ؛ نطلب البراز والمبارزة مع بني عمنا .

((**فبرز لهم علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب عمّ النبي عليه الصلاة والسلام**)) ؛ وجاء في سنن أبي داود في رواية لهذا الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام عيّنهم وطلب منهم القيام فقال : ((قم يا حمزة ، قم يا علي ، قم يا عبيدة ابن الحارث)) .

قال : ((**فقَتل عليٌ الوليد** – أي ابن عتبة – **وقتل حمزةُ عتبة بن ربيعة وقيل شيبة ، واختلف عبيدة وقِرنه بضربتين فأجْهد كل منهما صاحبه ، فكرّ حمزة وعلي عليه فتمَّما عليه** – قتلاه – **واحتملا عبيدة وقد قطع رجله**)) ؛ يعني أصابه السيف في ضربة في رجله .

قال : ((**فلم يزل طمثاً**)) أي : لم يزل الجرح على إثر هذه الضربة المدمية طمثاً يعني فاسداً .

((**حتى مات بالصفراء**)) ؛ مات ﷺ متأثراً بهذه الإصابة في رجله بالصفراء وهو وادي مر معنا ذكره قريباً في انطلاقة النبي ﷺ لهذه المعركة . وهذا الذي ساقه ابن كثير رحمه الله رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح .

قال : ((**وفي الصحيح** – هو في البخاري – **أن علياً** ﷺ **كان يتأول قوله تعالى {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ } في برازهم يوم بدر**)) ؛ يتأول الآية : يعني يرى أن هذه المبارزة التي حصلت يوم بدر هي تأويل للآية ، والآية مكية متقدمة على ذلك ، ولهذا قال ابن كثير :

((**ولا شك أن هذه الآية في سورة الحج وهي مكية ، ووقعة بدر بعد ذلك ، إلا أن برازهم من أولى ما دخل في معنى الآية**)) ؛ أي أنه داخل ولاشك في عموم الآية ، وقد جاء في الصحيحين عن قيس ابن عُباد قال : ((سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ قَسَمًا إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ { هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ } نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ ؛ حَمْزَةَ وَعَلِيٍّ وَعُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ)). وما من ريب أن هذا البروز داخل في عموم معنى الآية وإن كانت الآية متقدمة في نزولها على هذه الوقعة والحادثة ، وجرت عادة السلف في بعض كتب التفسير أن يستعملوا هذا التعبير : نزلت الآية في كذا أي : باعتبار أنه داخل في عموم الآية .

قال رحمه الله :

[**ثم حمي الوطيس واشتد القتال ونزل النصر ، واجتهد رسول الله** ﷺ **في الدعاء ، وابتهل ابتهالاً شديداً حتى جعل رداؤه يسقط عن منكبيه ، وجعل أبو بكر يصلحه عليه**

ويقول : يا رسول الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإنه منجزٌ لك ما وعدك . ورسول الله ﷺ يقول : " اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض، فذلك قوله تعالى { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ } [الأنفال:٩] **، ثم أغفى رسول الله ﷺ إغفاءةً ، ثم رفع رأسه وهو يقول : " أبشر يا أبا بكر ، هذا جبريل على ثناياه النقع]** .

****

قال رحمه الله تعالى : ((**ثم حمي الوطيس ، واشتد القتال ، ونزل النصر**)) ؛ أي بعد أن قُتل هؤلاء الثلاثة في البراز حمي الوطيس ؛ التقى الصّفان والتحم الجيشان وبدأت المعركة في شدتها ونزل نصر الله ﷻ لأوليائه المؤمنين وحزبه المقربين .

قال : ((**واجتهد رسول الله ﷺ في الدعاء وابتهل ابتهالاً شديداً**)) ؛ الابتهال هو شدة المناجاة والسؤال ، وهذا فيه مكانة الدعاء العظيمة وشدة الحاجة إليه ، وأن العبد مفتقر إلى الله ﷻ في كل شؤونه ، ومن ذلكم في نصره على الأعداء ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال:١٠] ، فالتجأ الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الله يناجي ويدعو ويُلح على الله ﷻ في الدعاء ويبتهل ابتهالاً شديداً ((**حتى جعل رداءه يسقط عن منكبيه**)) ؛ الرداء : هو الذي يُجعل على الكتفين . فكان عليه الصلاة والسلام لابساً إزاراً ورداء ، وكان رداؤه يسقط من على منكبيه صلوات الله وسلامه عليه .

((**وجعل أبو بكر يصلحه عليه**)) كلما سقط رداء النبي ﷺ من شدة الابتهال والمناجاة والإلحاح على الله ﷻ في طلب النصر للمؤمنين والهزيمة للكافرين أصلحه أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

((**ويقول : يا رسول الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإنه منجز لك ما وعدك**)) ؛ يطلب من النبي ﷺ أن يخفف ويهوّن على نفسه في الأمر ، وهذا أيضاً يوضحه ما جاء في صحيح مسلم قال : ((يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ)) يعني أن الله ﷻ مستجيبٌ دعاءك ومحققٌ رجاءك وناصرٌ أولياءه المؤمنين ، فالله ﷻ وعد أنبياءه والمؤمنين

بالنصر المبين ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[غافر:٥١] ، ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الروم:٤٧] .

قال : ((**ورسول الله ﷺ يقول** – في مناجاته وإلحاحه على ربه سبحانه – **اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض**)) ؛ وهذا فيه يعني أن هذه صفوة الناس وخلاصتهم وزبدتهم في أرض الله ﷻ في ذلك الوقت ، وكما جاء في الحديث أن الله ﷻ قبل مبعث نبينا عليه الصلاة والسلام نظر إلى أهل الأرض فمقتهم أجمعين عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، فالذين كانوا في هذه المعركة وكانوا مع النبي ﷺ هم أعداد قليلة مقارنة بالكفار ممن شهدوا المعركة أو غيرهم ، فيقول عليه الصلاة والسلام : ((إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض)) ، وهذا في صحيح مسلم من حديث عمر ، وهو أيضا في البخاري بنحو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

قال : ((**فذلك قوله** : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال:٩])) أي : يتبع بعضهم بعضاً متتابعين ، ملَك من وراءه ملك تتابعوا لنصرة أولياء الله ﷻ ونصرة المؤمنين في هذه المعركة ، ونزل هذا العدد من الملائكة مع أن ملكاً واحداً – مرّ معنا قريباً ملك الجبال – قال : إن شئت أطبقتُ عليهم الأخشبين ، لكن جاء هذا النصر ماضياً على السنَّة القائمة في القتال جيشٌ يقابل جيشاً وعدد يقابل عدداً ، فأهلكهم الله ﷻ بهذه السنَّة التي هي قائمة في تقابل الصفين مقتتِلين على خيولهم معهم سيوفهم ، فجاء هذا العدد من الملائكة – لعله والله تعالى أعلم – لهذه الحكمة .

قال : ((**ثم أغفى رسول الله ﷺ إغفاءةً**)) يعنى أغمض عينيه إغماضة يسيرة .

((**ثم رفع رأسه وهو يقول : أبشر يا أبا بكر**)) ؛ وأبو بكر ﷺ هو رفيق النبي عليه الصلاة والسلام في العريش ((**أبشر يا أبا بكر ، هذا جبريل على ثناياه النقع**)) أي الغبار ؛ يعني جاء مبشِّراً النبي عليه الصلاة والسلام بالنصر وبالجند من الملائكة الذين أرسلهم الله ﷻ نصرةً للمؤمنين .

قال الألباني رحمة الله عليه عن هذه الرواية : "رواه الأموي في المغازي بسند حسن" ، ولفظه في سيرة ابن هشام : " هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع " ؛ يعني قادماً

على فرسه مقاتلاً في سبيل الله ، وعلى متن الخيل الغبار. ولهذا أيضاً جاء في بعض الروايات أن بعض المسلمين يتقدم إلى قرينة من الكفار يقاتله فيجده يصرع أمامه ويسقط ميتاً ، من النصر والجند الذي أرسله الله ﷻ تأييداً لأوليائه وعباده المؤمنين.

قال رحمه الله :

[وكان الشيطان قد تبادى لقريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم زعيم مدلج ؛ فأجارهم وزيّن لهم الذهاب إلى ما هم فيه ، وذلك أنهم خشوا بني مدلج أن يخلفوهم في أهاليهم وأموالهم ، فذلك قوله تعالى : {وإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ } [الأنفال:٤٨] وذلك أنه رأى الملائكة حين نزلت للقتال ورأى ما لا قِبل له به ففر ، وقاتلت الملائكة كما أمرها الله ، وكان الرجل من المسلمين يطلب قِرنه فإذا به قد سقط أمامه. ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين ، فكان أول من فر منهم خالد بن الأعلم فأُدرِك فأسر ، وتبعهم المسلمون في آثارهم ، يقتلون ويأسرون ، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين ، وأخذوا غنائمهم] .

****

قال رحمه الله تعالى : ((**وكان الشيطان قد تبادى لقريش**)) أي ظهر لهم في صورة رجل وهو ((**سراقة ابن مالك ابن جعشم زعيم مدلج**)) ، ومدلج كانت بينهم وبين قريش خصومة فكان في إقدام كفار قريش على القتال تخوف أن يخلفهم بنو مدلج على أهليهم وأموالهم فكانوا مترددين في ذلك ، فجاءهم الشيطان في صورة سراقة ابن مالك ابن جعشم وأوهمهم أن بني مدلج صاروا أنصاراً لهم ومؤازرين وقال : إني جار لكم ، وزين لهم الذهاب إلى ما هم فيه ، فاطمئنوا من هذا التخوف الذي كان في قلوبهم وفي نفوسهم وأقدموا على القتال .

قال رحمه الله : ((**فذلك قوله تعالى** : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾)) أي : الإقدام على قتال المسلمين ((﴿ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ﴾ كان

ماضيٍ معهم ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال:٤٨])) أي : من جنود الله الذين بعثهم الله ﷻ لنصرة عباده المؤمنين .

قال : ((**وذلك أنه رأى الملائكة حين نزلت للقتال ، ورأى ما لا قِبل له به ففر**)) ؛ وهذا فيه عبرة وعظة عظيمة جداً يستفيدها الإنسان العاقل وهي : أن الشيطان يزيَّن للإنسان الباطل ويؤزُّه إليه أزًّا ، ثم إذا وقع الإنسان في الخطر تخلى عنه ، وكم من إنسان أقحمه الشيطان المقحمات وكان يزين له الأمر ويحسِّنه في نظره ويعِده بالنصر ، يعِده بالفوز ، يعِده بالغنيمة ، يعده بأمور ، ثم لما تورط ووقع في العطب والمهلكة تخلى عنه عدو الله .

قال : ((**وقاتلت الملائكة كما أمرها الله** ﷻ)) ؛ قال : ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢] .

((**وكان الرجل من المسلمين يطلب قِرنه فإذا به قد سقط أمامه**)) ؛ يطلبه أي ليقتله ، ثم قبل أن يصل إليه يجد أنه قد سقط أمامه ميتاً بما يسَّره الله من هذا الجند الذين بعثهم ﷻ نصرة للمؤمنين .

((**ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين**)) ؛ أي أن الكفار أعطوا المسلمين أكتافهم وولّوا هاربين فارّين .

((**فكان أول من فرَّ منهم خالد بن الأعلم فأُدرك فأسر**)) ؛ فأصبح الآن مهمة المسلمين إدراك هؤلاء الفارين لأسرهم وتقييدهم .

((**وتبعهم المسلمون في آثارهم ، يقتلون ويأسرون**)) ؛ يقتلون فريقاً ويأسرون فريقا ، وأما هؤلاء منهزمين شر هزيمة .

((**فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين**)) ؛ كان العباس عمّ النبي ﷺ من جملة الأسارى السبعين في غزوة بدر الكبرى ، واختُلِف هل كان إسلامه في تلك الغزوة لما أُسِر ؟ أو كان على الإسلام قبل ذلك ؟ قولان لأهل العلم ، وجاء عنه ﷺ أنه قال : ((إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُونِي)) ، ولما ذكر للنبي عليه الصلاة والسلام أنه على الإسلام أخبره ﷺ بأنه لا يعفيه هذا من الفداء ، وجاء بعض الصحابة يطلبون من النبي ﷺ إعفاءه في

ذلك فلم يعفه عليه الصلاة والسلام، بل دفع الفدية وكان دفع أكثر من غيره ، وكانت الفدية تتفاوت بحسب حال الشخص وقدرة أهله على الفداء ، ففُدي ودفع الفدية وبعد ذلك تمنى ﷺ أن لو ضاعف الفدية لقوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ [الأنفال:٧٠] فكان يتحدث بذلك ويقول إن الله ﷻ أعطاني أضعاف ذلك مع ما منَّ الله به عليّ به من الإسلام والهداية لهذا الدين .

((**وأخذوا غنائمهم**)) ؛ سيأتي حديثٌ للمصنف رحمه الله عن الغنائم .

قال رحمه الله تعالى :

[فكان من جملة من قُتل من المشركين ممن سمى رسول الله ﷺ موضعه : أبو جهل وهو أبو الحكم عمرو بن هشام لعنه الله ، قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عفراء ، وتمَّم عليه عبد الله بن مسعود فاحتز رأسه وأتى به رسول الله ﷺ فسُرَّ بذلك ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فسُحبوا إلى القليب ، ثم وقف عليهم ليلاً فبكَّتهم وقرَّعهم وقال : "بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدَّقني الناس ، وخذلتموني ونصرني الناس . وأخرجتموني وآواني الناس " . ثم أقام رسول الله ﷺ بالعرضة ثلاثا] .

****

ثم ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعض أعيان المشركين الذين قُتلوا في هذه المعركة – معركة بدر الكبرى – قال : ((**فكان من جملة من قُتل من المشركين ممن سمى رسول الله ﷺ موضعه**)) ؛ مر معنا أنه كان يمر على أماكن ويشير إليها بيده ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان ، فلم يخطئ أحد منهم الموضع الذي عينه الرسول ﷺ . فذكر منهم :

((**أبو جهل ؛ وهو أبو الحكم عمرو بن هشام لعنه الله**)) ؛ وقصة قتله رواها الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما عن عبد الرحمن ابن عوف أنه قال : ((بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ : يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا

جَهْلٍ ؟ قُلْتُ نَعَمْ مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي ؟ قَالَ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ ، قُلْتُ أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي ، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَاهُ ، فَقَالَ أَيُّكُمَا قَتَلَهُ ؟ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا ، قَالَا لَا ، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ كِلَاكُمَا قَتَلَهُ)) . هذه قصة قتل أبو جهل في هذه المعركة ، وأبو جهل كما مرّ معنا قريباً هو أيضاً الذي كان أشد إصراراً على أن يمضي القتال وأن يتقدم المشركون لمقاتلة النبي ﷺ وأصر أيضاً – لما أرسل له أبو سفيان أن العير نجت وسلِمت – إلا أن يذهبوا إلى بدر وتهابهم العرب ويشربون الخمر وتضرب على رؤوسهم القينات ، فلقي هذه القتلة على يد شابين كريمين فاضلين من الأنصار رضي الله عنهما وأرضاهما .

قال : ((**قتله معاذ ابن عمرو ابن الجموح ومعوذ ابن عفراء ، وتمّم عليه عبد الله ابن مسعود واحتزَّ رأسه وأتى به رسول الله**)) ؛ ابن مسعود وجد هذا الخصم اللدود لرسول الله ﷺ مصروعاً فتمَّم عليه وفصل رأسه عن جسده ، وأتى به لرسول الله ﷺ ((**فسُرَّ بذلك**)) .

أيضاً ((**وعتبة وشيبة ابنا ربيعة**)) ؛ وعتبة مر معنا أنه قتُل في البراز الذي تقدم معنا .

((**والوليد بن عتبة ، وأمية ابن خلف**)) ؛ أمية ابن خلف هذا أيضاً كان من ألد الأعداء للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ((**وكان في أشد ما يكون تردداً عن الخروج لهذه المعركة**)) ، كان في تردد عجيب وتمنع. وقصته في صحيح البخاري من حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَ عَنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ : ((كَانَ صَدِيقًا لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ فَقَالَ لِأُمَيَّةَ : انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ يَا أَبَا صَفْوَانَ مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ فَقَالَ هَذَا سَعْدٌ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا وَقَدْ أَوَيْتُمْ الصُّبَاةَ وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ

أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ ؛ طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ : لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ سَيِّدِ أَهْلِ الْوَادِي ، فَقَالَ سَعْدٌ دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ ، قَالَ بِمَكَّةَ ؟ قَالَ لَا أَدْرِي ، فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ قَالَ : يَا أُمَّ صَفْوَانَ أَلَمْ تَرَيْ مَا قَالَ لِي سَعْدٌ ، قَالَتْ وَمَا قَالَ لَكَ ؟ قَالَ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ فَقُلْتُ لَهُ بِمَكَّةَ ؟ قَالَ لَا أَدْرِي ، فَقَالَ أُمَيَّةُ : وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ قَالَ أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ ، فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ : يَا أَبَا صَفْوَانَ إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي تَخَلَّفُوا مَعَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ : أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي فَوَاللَّهِ لَأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ : يَا أُمَّ صَفْوَانَ جَهِّزِينِي ، فَقَالَتْ لَهُ يَا أَبَا صَفْوَانَ وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ ؟ قَالَ : لَا مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا ، فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ أَخَذَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَدْرٍ)) .

قال ابن كثير رحمه الله : ((**فأمر بهم رسول الله ﷺ فسُحبوا إلى القليب**)) ؛ وهذا من إكرام الإنسان ، حتى لا يبقى على وجه الأرض متعفناً منتنا ، ألقاهم في القليب ووراهم ، وكان عليه الصلاة والسلام من هديه لا يمر بإنسان ميتاً متجيفاً إلا واراه صلوات الله وسلامه عليه .

((**ثم وقف عليهم ليلاً فبكتهم وقرعهم**)) ؛ يعني على العناد وعلى المكابرة وعلى الشقاق وعلى العداوة للإسلام والمسلمين .

((**قال : بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وخذلتموني ونصرني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس**)) ؛ وهذا أورده ابن إسحاق في السيرة بلاغاً عن بعض أهل العلم ، وجاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ : ((يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا ؟ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ)) .

قال : ((**ثم أقام رسول الله ﷺ بالعرصة ثلاثا**)) ؛ العرصة : ساحة بدر التي كان فيها القتال ، أقام فيها ﷺ ثلاثاً ثم ارتحل . وكان ﷺ إذا مكنه الله ﷻ من قومٍ أقام بالساحة التي قاتلهم فيها ثلاث ليالٍ كما جاء في صحيح البخاري من حديث أنس عن أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((أَنَّهُ كَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ)) ، وقال بعض أهل العلم في الحكمة من ذلك : ليريح الأنفس الذين معه وليريح الظهر بعد القتال ، فيرتاحون هذه المدة ثم يرجع ﷺ بعد ذلكم إلى المدينة .

قال رحمه الله :

[ثم ارتحل بالأسارى والمغانم ، وقد جعل عليها عبد الله بن كعب بن عمرو النجاري ، وأنزل الله تعالى في غزوة بدر سورة الأنفال ، فلما كان رسول الله ﷺ بالصفراء قسم المغانم كما أمره الله تعالى ، وأمر بالنضر بن الحارث فضربت عنقه صبراً ، وذلك لكثرة فساده وأذاه رسول الله ﷺ ، فرثته أخته وقيل ابنته قتيلة بقصيدة مشهورة ذكرها ابن هشام ، فلما بلغت رسول الله ﷺ قال – فيما زعموا – : " لو سمعتها قبل أن أقتله لم أقتله " . ولما نزل عرق الظبية أمر بعقبة بن أبي معيط فضُربت عنقه أيضاً صبراً . ثم إن رسول الله ﷺ استشار أصحابه في الأسارى : ماذا يصنع بهم ؟ فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يُقتلوا ، وأشار أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالفداء ، وهويَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، فحلل الله لهم ذلك ، وعاتب الله سبحانه في ذلك بعض المعاتبة في قوله تعالى : { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسرَى حَتَّى يُثخِنَ فِي الأَرضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } الآيات [الأنفال:٦٧]. وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما حديثاً طويلاً فيه بيان هذا كله ، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أربعمائة أربعمائة . ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مؤيداً مظفراً منصوراً قد أعلى الله

كلمته ومكَّن له وأعز نصره ، فأسلم حينئذ بشرٌ كثيرٌ من أهل المدينة ، ومن ثم دخل عبد الله بن أبيّ بن سلول وجماعته من المنافقين في الدين تقيَّة] .

****

قال رحمه الله تعالى : ((**ثم ارتحل** – أي الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه – **بالأسارى والمغانم**)) ؛ أي إلى المدينة .

قال : ((**وقد جعل عليها** – أي على الغنائم – **عبد الله بن كعب بن عمرو النجَّاري** ﷺ)) .

((**وأنزل الله في وقعة بدر سورة الأنفال**)) ؛ ولهذا جاء عن بعض الصحابة ومنهم ابن عباس والتابعين تسمية هذه السورة سورة بدر لأنها نزلت في معركة بدر وذِكر وقائع هذه المعركة العظيمة ، وسماها الله ﷻ يوم الفرقان لأنه يوم عظيم مبارك فرَق الله ﷻ فيه بين الحق والباطل والهدى والضلال ، وأيّد أولياءه المؤمنين ونصرهم نصراً مبينا ، وخذل الكفار والمشركين .

قال : ((**فلما كان رسول الله ﷺ بالصفراء**)) ؛ وادي بين بدر والمدينة .

((**قسم المغانم كما أمره الله تعالى**)) وقد ذكر بعض أهل العلم في كتب السيَر أن هذه أول غنيمة ، لكن مر معنا أول غنيمة في بعْث عبد الله ابن جحش ﷺ ، فيُحمل ذلك على أنها أول غنيمة كبيرة وعظيمة في معركة دارت رحاها بين المسلمين والكفار وفيها العدد الكبير من الأسرى والأموال.

عثمان ابن عفان ﷺ لم يشهد بدراً ، وقد قسم النبي عليه الصلاة والسلام له من غنائم بدر لأنه كان في جملة من أراد الخروج لكن النبي عليه الصلاة والسلام أمَره أن يبقى في تمريض زوجته رقية بنت النبي ﷺ ، وقد ماتت رضي الله عنها في مرضها ذلك والنبي ﷺ قافل من غزوة بدر. وفي ربيع الأول من السنة الثالثة عقد على أختها أم كلثوم، وفي جمادى الآخرة من السنة الثالثة بنى بها ، ولهذا يقال له ﷺ « ذو النورين » ، لأن الله أكرمه بالزواج من بنتين لنبي – لسيد ولد آدم – وبعض أهل العلم في كتب التاريخ قالوا هذه ما حصلت لأحد إلا لعثمان ﷺ وحده ، كان ﷺ زوجاً لرقية ثم توفيت وبعد وفاتها زوَّجه النبي ﷺ من أختها أم كلثوم .

ومن الأحداث التي حصلت في السنة الثالثة من الهجرة : في شهر شعبان من هذه السنة تزوج النبي ﷺ حفصة بنت عمر ، وفي رمضان تزوج زينب بنت خزيمة ، وأيضاً في السنة نفسها تزوج زينب بنت جحش ، وفي صبيحة عرسها رضي الله عنها نزلت آية الحجاب ، والذي زوَّجها رب العالمين من فوق سبع سنوات ، وفي هذه السنة أيضاً نزل تحريم الخمر .

قال ابن كثير رحمه الله : ((**وأمر بالنضر ابن الحارث فضُربت عنقه صبراً**)) ؛ وهذا كان من أكبر المعادين لدعوة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وكان شاعراً ، وكان أيضاً بشعره يعادي دعوة النبي ﷺ ويؤلِّب عليه الناس ويحرضهم على النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، فأمر به ﷺ فضُربت عنقه صبراً ((**وذلك لكثرة فساده وأذاه رسول الله ﷺ**)) .

((**فرثته أخته ويقال ابنته قُتيلة بقصيدة مشهورة ذكرها ابن هشام ، فلما بلغت رسول الله ﷺ قال فيما زعموا : لو سمعتها قبل لم أقتله**)) ؛ يعني لو سمعت هذه القصيدة في رثاءه لم أقتله ، لكن هذا الخبر لم يصح ، أورده ابن هشام بدون إسناد ولهذا ذكره ابن كثير رحمه الله بصيغةٍ فيها إشارة إلى ضعفه.

((**ولما نزل عليه الصلاة والسلام عرق الظُّبْية أمر بعقبة بن أبي معيط فضُربت عنقه أيضاً صبراً**)) ؛ وعقبة هذا أيضاً كان من ألدِّ الخصوم وأشدهم ضراوةً في إيذاء النبي ﷺ خاصة ، وكان مرة عليه الصلاة والسلام يصلي في الحجر فجاء عقبة هذا بثوبه وخنق به الرسول عليه الصلاة والسلام يريد قتله ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ . وأيضاً جاء مرة بروث البعير وسلا الناقة والنبي ﷺ ساجد ووضعه على ظهره فأماطته عنه فاطمة رضي الله عنها ، ومرة جاء والنبي ﷺساجد وأيضاً تعرض له بأذى آخر .

فالشاهد كان عقبة بن أبي معيط من أشد الكفار أذى للنبي ﷺ خاصة فأمر به ﷺ فضُربت عنقه ، وكان يلتمس ويطلب من النبي ﷺ أن يجعله في جملة هؤلاء الأسرى وأن يكون شأنه شأن هؤلاء ، فلم يستجب النبي ﷺ لشيء من ذلك وأمر به فضُربت عنقه في هذا المكان .

قال : ((**ثم إن رسول الله ﷺ استشار أصحابه في الأسرى : ماذا يصنع بهم ؟ فأشار عمر بن الخطاب بأن يقتلوا**)) ؛ أي يقتلوا جميعاً وعددهم سبعين رجلاً .

((**وأشار أبو بكر الصديق** ﷺ **بالفداء**)) ؛ يعني أن يفدى الواحد منهم بمال يقدّمه المشركون فيسلَّم لهم ، وهذا فيه قوة للمسلمين وفيه تحصيل لشيء من القوة لهم والتمكين .

((**وهويَ رسول الله** ﷺ – أي مال النبي ﷺ إلى – **ما قال أبو بكر فحلَّل الله لهم ذلك ، وعاتب الله سبحانه في ذلك بعض المعاتبة في قوله تعالى** : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ **الآيات** [الأنفال:٦٧] ، **وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس حديثاً طويلاً فيه بيان هذا كله ، فجعل رسول الله** ﷺ **فداءهم أربعمائة أربعمائة**)) ؛ روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ قُلْتُ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا ، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمْ الْفِدَاءَ ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ إِلَى قَوْلِهِ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا } فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ)) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : ((**ورجع رسول الله** ﷺ **إلى المدينة مؤيداً مظفراً منصوراً ، قد أعلى الله كلمته ومكن له وأعز نصره ، فأسلم حينئذ بشرٌ كثيرٌ من أهل المدينة ، ومن ثم دخل عبد الله ابن أبيّ ابن سلول وجماعته من المنافقين في الدين تقيَّة**)) ؛ هذا اليوم هو يوم الفرقان أصبح للمؤمنين بعده شوكة وقوة وظهور وتمكن وغلبة وهيبة في النفوس ، فبدأت

ظاهرة النفاق تبرز ، قبل ما كان هناك حاجة أن يظهِر أحد إيمانه وهو في باطنه ليس بمؤمن ، لكن بعد هذا الظهور والتمكن يوم بدر اليوم الذي أعز الله أهل الإيمان وجعل لهم الهيبة والقوة بدأت ظاهرة النفاق وهي أن أناساً دخلوا في الإسلام تقية وهم في الباطن ليسوا بمؤمنين ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] .

ثم عقد الحافظ ابن كثير رحمه الله فصلاً في من حضر بدراً ، فقال رحمه الله تعالى :

[فصلٌ : جملة من حضر بدراً من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ؛ من المهاجرين ستة وثمانون رجلاً ، ومن الأوس أحد وستون رجلاً ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً . وإنما قلَّ عدد رجال الأوس عن عدد الخزرج – وإن كانوا أشد منهم وأصبر عند اللقاء – لأن منازلهم كانت في عوالي المدينة ، فلما نُدبوا للخروج تيسر ذلك على الخزرج لقرب منازلهم] .

****

قال : ((**جملة من حضر بدراً من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً**)) ؛ جاء في صحيح البخاري عن البراء ابن عازب قال : ((كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ)) ، فكان عدة أهل بدر مثل عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر .

وأشار ابن كثير رحمه الله أن عدد الأوس قلَّ عن عدد الخزرج ، لأن النبي ﷺ لما ندب الناس للقتال لم يحتفل ، ولما أراد الخروج إنما أذِن عليه الصلاة والسلام لمن كان ظهره قريباً ، أما من كان ظهره بعيداً – ومنهم الأوس فقد كانت خيلهم وركابهم في العالية – فلم يأذن لهم ؛ ولهذا كان عدد الخزرج أكثر من عدد الأوس في هذه المعركة ؛ كان عدد الخزرج مئة وسبعون ، وعدد الأوس إحدى وستون .

قال رحمه الله :

[وقد اختلف أئمة المغازي والسيَر في أهل بدر – وفي عدتهم وفي تسمية بعضهم – اختلافاً كثيراً ، وقد ذكرهم الزهري ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحق بن يسار ، ومحمد بن عمر الواقدي ، وسعيد بن يحيى الأموي في مغازيه ، والبخاري ، وغير واحد من المتقدمين ، وقد فصَّلهم ـ كما ذكرتهم ـ ابن حزم في كتاب السيرة له ، وزعم أن ثمانية منهم لم يشهدوا بدراً بأنفسهم وإنما ضرب لهم رسول الله ﷺ بأسهمهم، فذكر منهم : عثمان وطلحة وسعيد بن زيد . ومن أجلِّ من اعتنى بذلك من المتأخرين الشيخ الإمام الحافظ ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله ، فأفرد لهم جزءاً وضمَّنه في "أحكامه" أيضاً . وأما المشركون فكانت عدتهم كما قال عليه السلام "ما بين التسعمائة إلى الألف" ، وقُتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً : ستة من المهاجرين ، وستة من الخزرج ، و اثنان من الأوس ، وكان أول قتيل يومئذ مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقيل رجل من الأنصار اسمه حارثة بن سراقة ، وقُتل من المشركين سبعون ، وقيل : أقل ، وأسر منهم مثل ذلك أيضاً . وفرغ رسول الله ﷺ من شأن بدر والأسرى في شوال] .

****

وهنا أشار ابن كثير رحمه الله إلى اختلاف أهل العلم في كتب المغازي والسير في عدة وتسمية من شهد بدراً ، وذكر جماعة ممن اعتنى بذلك . قال : ((**ومن أجلِّ من اعتنى بذلك ضياء الدين المقدسي رحمه الله فأفرد لهم جزءًا وضمَّنه في أحكامه**)) .

والإمام ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية عقد فصلاً في تسمية من شهد بدراً ، وأشار إلى أنه استفاد من كتاب الأحكام للمقدسي ومن غيره من الكتب ، فجمعهم جمعاً جيداً مرتباً على حروف الهجاء وترجم لكل واحد منهم ترجمة مختصرة ، فكان ما أثبته رحمه الله في البداية خلاصة ما وقف عليه من كلام من تقدَّمه من أهل العلم وبخاصة العناية التي أشاد بها وهي عناية ضياء الدين المقدسي رحمه الله في جزء أفرده في ذلك وضمَّنه في كتابه الأحكام .

قال : ((**وأما المشركون فكانت عدتهم كما قال ﷺ ما بين التسعمائة إلى الألف**)) ؛ هذا مر معنا في قصة الغلامين الأسيرين اللذين سألهما النبي ﷺ عن العدد فقالوا لا نعرف ،

فقال كم ينحرون في اليوم؟ قالوا تسعة إلى عشرة ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((هم ما بين التسعمائة إلى الألف)) . فهذا كان عدد المشركين في هذه المعركة .

((**وقُتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً : ستة من المهاجرين ، وستة من الخزرج ، واثنان من الأوس، وكان أول قتيل يومئذ مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب** ﷺ ، **وقيل رجل من الأنصار اسمه حارثة بن سراقة**)) ؛ يعنى اختُلف في أول من قُتل من المسلمين في هذه المعركة فقيل : إن أول من قتل مهجع ﷺ مولى عمر بن الخطاب ، وقيل : بل رجل من الأنصار اسمه حارثة بن سراقة .

((**وقُتل من المشركين سبعون ، وقيل : أقل ، وأُسر منهم مثل ذلك**)) ؛ جاء في صحيح البخاري عن البراء ابن عازب ﷺ قال : ((وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا)) .

قال رحمه الله : ((**وفرغ رسول الله** ﷺ **من شأن بدر والأسرى في شوال**)) ، وجاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال عن أهل بدر : ((لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)) . وهذا ليس فيه أنهم لا يقعون في المعاصي ، لكن أن معاصيهم مغفورة لأن الثمن كان مقدماً في هذه المعركة العظيمة الفيصل . ولهذا لما حصل من حاطب بن ابن بلتعة ﷺ ما حصل وكان ممن شهد بدراً قال نبينا عليه الصلاة والسلام : ((لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)). ولهذا يُخص من كان منهم شهد هذه المعركة بذلك فيقال بدري أو يقال ممن شهد بدراً ، لأن هذه منقبة عظيمة ومكرمة جليلة وفضيلة مباركة أكرم الله ﷻ بها من أكرم من أصحاب النبي الكريم ﷺ.